كبتي- ايلاني – مردوخ
(Kabti – Ilani – Marduk)
مؤرخا وأ ديبا

الاستاذ الدكتور حسين احمد سلمان الباوي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

الخلاصة

النتاج الادبي صورة مرئية لواقع المجتمع ، ويأتي في مقدمة المصادر للوقوف على الحضارة وخصائصها ومقوماتها ، لان الادب مرأة المجتمع وخير من يصور الاتجاهات العقائدية والفكرية عبر العصور . لقد وصلت النتاجات الادبية في بلاد الرافدين الى قمتها مع اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ، وذلك لانتشار المدارس في مدن بلاد الرافدين كمراكز للمعرفة والتعليم . كما اتصفت النصوص الادبية والتاريخية بالازدواج اللغوي اذ انها جاءت مدونة باللغة السومرية والاكدية . اما مؤلفي النتاجات التاريخية والادبية فيبدو انها نتاج جماعي لاجيال كثيرة من المؤرخين والشعراء والادباء . ولكن هذا لا يعني بانه ليس هناك قطع ادبية او تاريخية الفت او استنسخت من قبل كاتب لان هناك قطع ادبية او تاريخية ذيلت باسم مؤلفها او ناسخها ومنها ملحمة كلكامش وقصيدة العدل الالهي .

ان اسطورة الاله ايرا والتي دونها (كبتي – ايلاني – مردوخ) تصور عزم الاله ايرا على انزال الخراب والدمار في مدينة بابل على الرغم من محاولة ايشوم اقناعه بالتوقف عن اعمال القتل والتخريب . ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) من الكتاب القلائل والاوائل ممن ترك اسمه على مدونه ، ولكنه لم يذكر شيئا عن نفسه ولا الملوك المعاصرين له . اما الفترة الزمنية التي عاش فيها المؤرخ والاديب (كبتي – ايلاني – مردوخ) فهناك اختلاف فيها فقسم من الباحثين يرون انه عاش في القرن التاسع او الثامن قبل الميلاد ولكن القصيدة الخاصة بالمؤرخ (كبتي – ايلاني – مردوخ) تضمنت احداث قديمة من تاريخ مدينة بابل منها ما يتعلق بغزو السوتين لمدينة سبار . في حين يرى اخرون انه عاش في فترة العصر الكشي (١١٥٧–١٥٩٥ق.م) وانه شهد تدمير عيلام لمدينة بابل والمدن العراقية الاخرى اثناء غزو (شتروك ناخنتي) لها . كما نقلت لنا قصيدة (كبتي – ايلاني – مردوخ) فكرة محدودة عن الغضب الألهي الذي احتل مكانة مهمة في معتقدات الانسان القديم . وهناك في ادب العراق القديم شواهد عديدة منها احداث الطوفان وتدمير مدينة اور لغضب الاله انليل فهو الذي ارسل جحافل العيلاميين لتدمير وتخريب مدينة اور وقتل اهلها .

Dr. Hussein Ahmed Salman Al-Bawi
University of Mustansiriya / Faculty of Education

Abstract

The literary output is a visual image of the reality of society and comes at the forefront of the sources to find out about civilization, its characteristics and its components, because literature is the mirror of society and the best of the ideological and ideological trends through the ages. Literary productions in Mesopotamia reached their peak with the end of the third millennium BC, because of the spread of .The literary and historical texts were also characterized by linguistic doublets, as they were written in Sumerian and Akkadian language. The authors of historical and literary productions seem to be a collective product of many generations of historians, poets and writers. But this does not mean that there is no literary or historical cut or copied by a writer because there are literary or historical pieces that were named in the name of its author or copywriter, including the epic of Kalgames and the Justice and Justice of God.

The myth of the god Era, without which (Kepti-Ilani-Murdok) depicts the intention of the god Ira to bring destruction and destruction in the city of Babylon, despite the attempt of Ishom to persuade him to stop the acts of murder and vandalism. (Kabti - Ilani - Murdok) of the few writers and early ones who left his name on his code, but did not mention anything about himself and the kings of his contemporaries. A period of time in which the historian and literary historian (Kepti-Ilani-Murdok) lived, there is a difference in which scholars say that he lived in the ninth or eighth century BC, but the poem of the historian Kebty-Ilani-Murdoch included ancient events from the history of Babylon What is related to the invasion of Sutan City. While others see that he lived during the Akshi period (1595-1157 BC) and that he witnessed the destruction of Elam of the city of Babylon and other Iraqi cities during the invasion (Struck Nakhnti). The poem (Kabti-Ilani-Murdok) also quoted a limited idea of divine anger, which occupied an important place in the beliefs of the ancient man. There is in the ancient literature of Iraq, including the events of the flood and the destruction of the city of Ur to the wrath of God Enlil is the one who sent hordes of Elamine to destroy and destroy the city of Ur and killed its people.

مقدمة:

النتاج الادبي صورة مرئية لواقع المجتمع ، ويأتي في مقدمة المصادر الاساسية لمعرفة الحضارة والوقوف على خصائصها ومقوماتها لأن التاريخ والادب خير من يصور لنا الاتجاهات الفكرية والعقائد للقوم ونظرتهم للكون والحياة عبر العصور ، فالادب بشكل خاص يمثل جوهر نتاج الانسانية في ماضيها وحاضرها وكذلك الحس بأهمية التأريخ كان من بين اهم العناصر في تراث حضارة العراق القديم لان اهم ما يميز النوع الانساني توارث الاجيال المختلفة خيرات الماضي وتجاربه وكان ذلك يتم بالرواية الشفهية قبل ظهور التدوين في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد فضلا عن ذلك نجد في تدوين الادب والتاريخ

في العراق القديم بدايات اهتمام الانسان في تتبع اصول الانظمة الاجتماعية وتطورها وتعليل احداث التاريخ وتفسيرها .

حيث نجد اولى تلك المحاولات لدى الكتبه والادباء لتعليل اصول الاشياء واصل الانسان والحياة والتطور الحضاري بوجه عام ففي مجال الفكر والمعتقدات نجد في الوثائق السومرية والبابلية جملة من الافكار التي حاول القدماء من خلال اعطاء تصور لتاريخ نشأة الكون وتفسير الحقائق الكونية والطبيعية ولكن بأسلوب التفكير الاسطوري ففي قصة الخليقة البابلية[١] نجد في البداية الصراع بين قوى الخير المتمثلة بالالهة الفتية وقوى الشر المتمثلة بالالهة العتيقة ، ومن ثم خلق السماء والارض والانسان ولكن النتاجات الادبية التاريخية وصلت قمتها نوعا وكمية مع اواخر الالف الثالث قبل الميلاد لأنتشار المدارس (أ–دبا) (É–dubba)[٢] في بلاد سومر واكد كمراكز للتعليم والمعرفة . ومن اجل ان لا يتعرض الموروث السومري الحضاري بعد سقوط سلالة اور الثالثة (٢٠٠٤ ق.م)[٣] للانقراض فقد سعى الكتاب البابليون الى استنساخ التراث السومري وحفظه . ومن الجدير بالذكر ان الوثائق العراقية القديمة جاءت بهيئتها الاصلية غير محرفة او محورة ومدونة بالخط المسماري (cuneiform)[٤] كما اتسمت النصوص التاريخية والادبية بالازدواج اللغوي اذ انها جاءت مدونة باللغة السومرية واللغة اكدية اما عن مؤلفي النتاجات الادبية والتاريخية فنعتقد بانها نتاج جماعي شاركت فيه اجيال كثيرة من الكتاب والشعراء ، ولكن هذا لا يعني بانه ليس هناك قطع ادبية او تاريخية ألفت او استنسخت من قبل كاتب واحد فقد ورد في ذيل ملحمة كلكامش اسم الناسخ على هيئة (سين – ليقو –او ننى)[٤] (sin–leque–uninni)[٥].كما عرفت قصيدة العدل الالهي (سكيل – كينم – اوبيب) (sageil kinam–wbbib) وقد ضمن اسمه ولقبه في قصيدته بطريقة توزيع مقاطع اسم الشاعر ولو جمعنا تلك المقاطع حسب تسلسل الابيات اي بشكل عمودي فاننا نحصل على جملة تتضمن اسم الاديب ولقبه وعلى الشكل التال (اناسكيل – كينم – اوبيب) كان الرقي مبجل الاله والملك[٦] ، وكذلك هناك مؤلف قصيدة (ايرا) التاريخية والذي جاء بهيئة (كبـتي – ايـلاني – مردوخ Kabti – Ilani – Marduk)[٧] ومؤلف قصيدة الطوفان البابلية المعنونة (اتراحاسيس) (Atra–Hasis) الذي ذكر بهيئة (كو – ايا) (Ku – Aya) من عهد الملك (عمي – صدوقا) (١٦٤٦ – ١٦٢٦ق.م)[٨] ان اغفال الاسم لا تقتصر على النصوص الادبية فقط فهناك اعداد كبيرة جدا من النصوص التاريخية التي تتحدث عن اعمال الملوك وماثرهم وفتوحاتهم ، ولكن لا نعرف في الواقع من كتبها . ومن بين المكتشفات الاثرية قوائم بعناوين التاليف[٩] . مع ذكر مؤلفه بصيغة المصطلح البابلي (شابي)(Ša–pi) حرفيا (من فم فلان) اي من صنعه وكلامه . فهناك كتابات ادبيه قيل عنها من (فم الاله ايا) اله الحكمة والمعرفة عند البابليين او شخصيات اسطورية عاشوا في عصور قديمة ووضعوا بكونهم من الحكماء من امثال (ادبا وانمير كاري ولو – انا) او ذكروا باسمائهم المجردة فقط او بكونهم متبوعة باسماء الاباء من سلسلة مع النسب . ومن المؤلفين الذين جاءت اسماءهم مع قصائدهم الشعرية

الشاعرة الاكدية (انخيدوانا)(Enheduana) ابنة الملك سرجون الاكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٥ق.م) الكاهنة العظمى لمعبد اله القمر (سين) في اور وربما تعكس انخيدوانا في قصيدتها الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور بالبلاد [١٠]، وقد كان للمنشدين والمغنين باع طويل في نقل الموروث الحضاري قبل التدوين وبعده[١١] ، من خلال التغني بامجاد الماضي والابطال الميامين من امثال (انمير كاري ولوكال بندا وجلجامش) وقد تابع رجال الادب والفكر في بلاد الرافدين الاحداث التاريخية المهمة في بلادهم .

(كبتي ايلاني مردوخ Kabti – Ilani – Marduk):

لا تخلو اسطورة الاله ايرا (Erra) اله الطاعون من اثار تاريخية تقوم على انزال الخراب والدمار بمدينة بابل واهلها كما ورد صراحة اسم (كبتي – ايلاني – مردوخ)(Kabit–Ilani–Marduk) باعتباره شاعرا نظم القصيدة ، وهي مدونة في خمسة الواح وتعتبر من القصائد الطويلة اذ انها تحتوي على ما يقرب من سبعمائة وخمسين سطرا (بيتا باللغة البابلية والقصيدة تدور حول ايرا(Erra) اله الطاعون والامراض واله الحرب والصيد وقد شبه بـ (نركال) اله العالم السفلي وبـ (كيرا) (Gerra) اله النار وكان له معبد في كوثا (تل ابراهيم) يسمى (É–meslam) اي – ميسلام ومن القابه (السيد الذي يحرس خلال الليل)(Engidudu)[١٢].

والاسطورة لا تقدم سردا لأحداث قصة معينة ، وانما تصور في معظمها عزم الأله ايرا (Erra) على انزال الدمار بمدينة بابل واهلها . وفي المقابل فان مستشاره ومساعده (ايشوم) يحاول اقناعه بالتوقف عن اعمال القتل والتخريب ، وبالرغم من انه فشل في مسعاه مرات عديدة ألا انه نجح في نهاية الامر واقنع سيده (ايرا) بوجوب الكف عن اهلاك الناس وأحلال الخراب بالبلاد .

والقصيدة كلها تأخذ شكل حديث مباشر يتجاذب اطرافه عدد من الاشخاص ، الشاعر وايرا والمستشار ايشوم ومردوخ أله مدينة بابل[١٣]، وهو حديث كتب بأسلوب خطابي بليغ . و(كبتي – ايلاني – مردوخ) من الكتاب العراقيين القلائل والاوائل ممن ترك اسمه على مدوناته . ولم يذكر(كبتي – ايلاني – مردوخ) الا شيئا قليلا عن نفسه في قصيدته ، كما لم يذكر اسماء الملوك المعاصرين له وما الى ذلك ... ولكنه يقول بأنه ابن (دابيبو Dabibu) ولا نعرف ان كان اسم لوالده ام لقب تلقب به او كنية ، لان هذا الاسم نادر الاستعمال في العراق القديم ، اضافة الى ذلك ان (دابيبو Dabibu) يعني في اللغة الاكدية (البابلية والاشورية) ثرثار او نمام[١٤] . وهي صفة ذميمة يصعب الاعتقاد بها في كونها اسما لشخص ربما يعني (كبد الاله مردوخ)[١٥]. ولم يشر (كبتي – ايلاني – مردوخ) الى وظيفته او مهنته فهو لابد ان يكون من عليه القوم ، ربما كان كاهنا بدليل معرفته للكتابة المسمارية ، والتي كانت المعرفة بها محتكرة من قبل فئة خاصة من الكهنة القليلة وطبقة النساخ . ويمكن ان نفترض بانه كان ذو مكانة مرموقة في المجتمع البابلي وانه كان من الكهنة المقربين من الحكام والملوك .

وقد اختلف الباحثون في الفترة الزمنية التي عاش فيها (كبتي – ايلاني – مردوخ) لأنه لم يذكر صراحة في أنشودته التأريخية او معاصرته لأحدالملوك او الحكام . ومن الملاحظ ان هناك فقرات من القصيدة قد ورد ذكرها في كتابات الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) ومعاصره مردوخ بلادان مما يدل على ان القصيدة كانت معروفة وشائعة في زمانهم ، ولذلك فالراجح ان تاليفها يعود الى زمن يسبق عصر سرجون ربما الى القرن التاسع او الثامن قبل الميلاد من جهة اخرى تضمنت القصيدة اشارات الى احداث قديمة من تاريخ بلاد بابل تخص بالذكر منهم ما يتعلق بالسوتيين وهم قبائل بدوية التي كانت تسكن الهلال الخصيب والذين غزوا المدن البابلية والحقوا بها اضرار بالغة زمن الملك (ادد – ابل – ايدانم) (١٠٦٧ – ١٠٤٦ ق.م) ومنها مدينة سبار ومعبدها الشهير الخاص بالاله شمش ، وربما ان هذه الاشارة ضمنها (كبتي – ايلاني – مردوخ) لمؤلفه ليضفي عليه مسحة من الاصالة والقدم. وعلى اية حال فأن هذه الانشودة تشير الى ان الفترة الزمنية التي عاشها (كبتي – ايلاني – مردوخ) كانت فترة عصيبة مضطربة تميزت اضافة الى السوتيين بتحديات العيلاميين لبابل ومدنها حيث يقول:-

((انهم يطلقون الشتائم على الحاكم المسؤول عن معابدهم وقد سدوا بأيديهم بوابة بابل شريان رخائهم واضرموا النار في معابد بابل مثل ما يفعل من ينهب البلاد[١٦] انت الذي كنت تسير في المقدمة وكنت تقودهم وصوبت السهام الى امكور-انليل[١٧] حتى صاح ياويلي واقيمت مسكنا (موخري Muhre) حارس بوابتها الكبير وسط دماء الشباب من الرجال والنساء انت الشرك لسكان بابل وهم الطير اوقعتهم في شبكتك وامسكتهم وايديهم ايها المحارب ايرا وجعلت دمائهم تسيل كالماء في مجاري الميادين العامة وفتحت اوردتهم وجعلت النهر يحمل دمائهم فلما راى مردوخ ذلك صاح (واسفاه) وامسك بقلبه رحلت في فمه لعنة لا تبديل لها لانه اراد ان يتحاشى (شرب) دمائهم ، كما انه عزف عن دخول معبد اي-ساكيلا))[١٨]

وفي مكان اخر من الانشودة يقول :-

((ان السوتيين والسوتيات مطلقين صرخة حرب من مدينة دير جعلت صحراء مثل قصب سحقت الناس الذين كانوا يعيشون اذ ذلك تخلى الناس عن العدالة ليتخذوا سبلا لقد تركوا الخير ليعكفوا عن الشر))[١٩]

كما عكست قصيدة كبتي ايلاني مردوخ حالة عدم الاستقرار السياسي في البلاد وضياع الامن والاستقرار حيث يقول :-

((من لم يمت بالحرب مات بالطاعون من لم يسرق العدو يسرقه اللص من لم يسرقه اللص يسرقه سلاح الملك من لم يأخذه سلاح الملك تصرعه اللبوة[٢٠]. من لم يهلك بيد عشتار يغرقه ادد من لم يغرقه ادد يذهب به شمش من خرج خارجا جلدته الريح ومن عاد الى منزله ضربه عفريت الرابيصو الشرير ومن صعد الى جبل قضى هناك عطشا))[٢١]

وكل هذه الاحداث لربما تشير الى ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) قد عاش خلال فترة من العصر الكشي (١٥٩٥ – ١١٥٧ق.م) ، وانه شهد احتلال العيلاميين (لبابل وتدميرهم لمدنها خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٦٨ق.م)[٢٢] على يد الملك العيلامي المسمى (شتروك – ناخونتي – Shutruk Nakhunte) الذي دمر العاصمة بابل ومدنا اخرى ونقل الى عيلام جملة غنائم ، من ضمنها مسلة الملك الاكدي (مانشتوسو ٢٢٦٩-٢٢٥٥ ق.م) ومسلة الملك نرام – سين (٢٢٥٤ – ٢٢١٨ ق.م) المعروفة بمسلة النصر[٢٣]. كما اخذت مسلات من شريعة حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ق.م) وفي عام (١١٥٧ ق.م) احتل (شيلاك – انشوشناك Shilhak – Inshushinak) بابل فواصل التدمير والنهب على اثر ثورة اهلها في عهد (انليل-نادن-اخي) (١١٥٩-١١٥٧ق.م) واضاف الى الغنائم تمثال كبير الهه بابل مردوخ ، وهذا هو الاسر الثاني له ، بعد ان كان الاسر الاول قبل نحو (٤٣٣) عاما من قبل الحثيين[٢٤]. في حين يرى اخرون من الباحثين ان زمنه يقع في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، وخلال فترة حكم (نابو-ابلا-ادينا Nabu-Apla-Addina) الذي تمكن من طرد السوتيين (Sutean) الذي ذكرت الانشودة عبثهم في البلاد ونعتهم بالاشرار ، فقد تعرضت البلاد الى هجوم قاسي من قبل السوتيين الذين احتلوا سبار مركز عبادة الاله شمش[٢٥] . وذكر (كبتي – ايلاني – مردوخ) ان احداث اسطورته قد اوحيت له من قبل الاله ايشوم[٢٦] رسول الالهين البابليين ايرا (Erra) اله النار والطاعون ونركال اله الموت والعالم السفلي وزوج الالهة (ايريش – كيكال) الهة العالم الاسفل عند البابليين ، وذكر (كبتي – ايلاني – مردوخ) ان الاله ايشوم اوحى اليه القصيدة التي مطلعها:-

((قالوا لأيرا هيا انهض[٢٧] لماذا تبقى في المدينة مثل طفل صغير هل علينا ان ناكل من خبز امرأة كمن لم يخرج ابدا الى معركة هل علينا ان نكون خائفين مضطرين كما لو كنا لا نمتلك خبرة في الحرب فذهبنا الى معركة كأنه العيد للشاب ومن يبقى في المدينة ، وان كان اميرا لا يشبع بالخبز وسوف تفضحه افواه شعبه ويحتقر كيف يجرأ على رفع يده في وجه من ذهب الى المعركة ومنهما عظمت قوة من يبقى في المدينة وكيف يمكنه بالتغلب على من كان في المعركة ؟ ان طعام المدينة مهما كان لذيذا لا يقارن بما يطبخ على الجمر وافضل انواع الجعة مهما لذيذة لا تقارن بماء القربة وقصر مشيد على مصطبة لأ يقارن بمأوى في مخيم))[٢٨]

وفي مكان اخر من القصيدة يذكر (كبتي – ايلاني – مردوخ) انه عندما نهض في الصباح تذكر القصيدة كاملة غير نقوصة ودونها كما هي على حد قوله:-

((فقد جاءه الالهام في منتصف الليل وانه عندما بعد ان استفاق لم ينقص منها شيئا ولم يضف لها كلمة واحدة وان ايرا استمع اليها واقرها كما سربها ايضا ايشوم الذي يسير امامه واثنى عليها كل الالهة الاخرين))[٢٩]

واذا كان هذا الادعاء صحيحا فيصعب معرفة طبيعية تلك الليلة التي تعرض لها (كبتي – ايلاني – مردوخ) ، كما يصعب تصور عدم نسيان (كبتي – ايلاني – مردوخ) لأي من ابيات الانشودة ، وتذكره بكل محتوياتها خاصة وانها ليست بالقصيدة القصيرة وبذلك لم يكن ذلك الحدث حلما اعتياديا . ومن ناحية اخرى فان لخبرة (كبتي – ايلاني – مردوخ) شبه بتنبؤات الكاهن الاشوري في اربيل الذي نقل الى الملك اشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٧ق.م) ما قالته الالهة عشتار (اربيلا)[٣٠] . ويبدو ان قصيدة (كبتي – ايلاني – مردوخ) هي من بنات افكاره نفسه . اما موضوع الحلم وعلاقة الالهين (ايرا وايشوم) بالموضوع فيبدو انه اراد بذلك ان تصبح قصيدته اكثر رواجا وتقبلا في المجتمع ويبدو ان ما قدمه (كبتي – ايلاني – مردوخ) كان يقصد زرع الامل ورفع المعنويات والثقة بالنفس التي حطمتها الاوضاع المضطربة وعدم الاستقرار والامان من جراء الاحتلال الاجنبي للبلاد . وبذلك يكون العنصر الالهي في هذه الاسطورة لغاية نبيلة من خلال زرع الامل للخلاص من الوضع المضطرب . اما اختياره لألهين متناقضين في المهنة الاله (ايرا Erra) اله الطاعون والاله ايشوم حامي البشرية من الجحيم في عالم ما بعد الموت يدل على الموازاة للايحاء بان امل الخلاص القريب . فأيرا اله يزرع الخوف النفوس وايشوم الاله الحامي والحارس لطريق البشرية الى عالم الاموات وشفيعهم في ذلك العالم المخيف . ويبدو ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) قد وظف خبرته التاريخية ومعرفته بمعتقدات شعبه لخدمة مواطنيه ليبعث فيهم من خلال قصيدته الامل والطموح في حياة سعيدة تنتظرهم لا تختلف عن تلك التي احياها اجدادهم في عصورهم الذهبية الاولى . ان رؤية (كبتي – ايلاني – مردوخ) للتأريخ البابلي تدل على شخص خبر ماضي بلاده وعرف مسار احداثه المعاصرة ويجمع مؤرخوا العهد القديم ان اقدم فلسفة للتأريخ تلك التي وردت في كتابات العهد القديم والتي جعلت الاحداث مسيرةمن لدن الله وكل شيء مقدر من سبحانه – في حين ان التفسير الديني للاحداث التاريخية معروف عند السومريين والبابليين والاشوريين[٣١]. والمعروف ان اسفار العهد القديم قد دونت في فترات متباعدة من اواسط القرن العاشر قبل الميلاد (الوثيقة الياهوية) مرارا بالوثيقية (الابلوهية) في حدود (٧٣٠ق.م)[٣٢] ، ووثيقة التثنية من سنة (٦٢١ق.م) والاجزاء التي دونت بعد الترحيل البابلي (١٨٠ق.م) والتي تعرض اراء مختلفة وتأثيرات لاحقة منها التأثير الهلنستي[٣٣]. وبذلك تكون اراء (كبتي – ايلاني – مردوخ) ونظرته للتأريخ وتفسيره لأحداثه قد سبقت الفلسفة التي قدمها كتاب العهد القديم بقرون كثيرة علما ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) لم يدخل القدر في تفسيره للتأريخ الذي يعرفه . ويعتبر العراقيون القدامى ، والسومريون بوجه خاص اول من امنوا به ، وربما ابتدعوه لتفسير انتظام الكون وسط العالم المملوء بالالهة ذات الاهواء المختلفة والرغبات المتباينة[٣٤].

واذا ما قارنا رؤية (كبتي – ايلاني – مردوخ) مع اوجه فلسفة العهد القديم نجد هناك تماثلا في الافكار ، فالاثنان (كبتي – ايلاني – مردوخ) والعهد القديم مقتنعان ان للتأريخ معنى ، وانه مسير نحو هدف معين، وانه يسير دون نهاية . كما ادرك الاثنان تدفق الزمن واهمية الخبرات السابقة ، وكون

الاحداث بصورة عامة تشير نحو الافضل . واشارت انشودة ايرا (Erra) الى الاوضاع السيئة التي حلت ببلاد بابل والمدن الاخرى حيث التفكك وانتشار الفوضى في كل مكان فنقرأ في الانشودة :-

((حيث اصبحت الحياة صعبة جدا كان من الصعب فتح المنابع وكان انجاب الكائنات الحية قد قل الى حد انها لم تعد الى حالتها السابقة))[٣٥]

وفي مكان اخر من القصيدة يقول :-

((والولد (بعد اليوم) لا يسأل عن صحة والده عن ولده والام تتأمر بفرح لإيذاء ابنتها وأجعل الرعاع يدخلون بيوت الالهه حيث لا يسمح أجعل خبيثا لا يجلس في منزل الامير[٣٦] **ثم ان ابناء بابل الذين ليس لديهم من يتولى امرهم التفوا من حولك مثل القصب في الادغال من كان جاهلا بالسلاح استل خنجره ومن كان جاهلا بالقوس وتر قوسه ومن كان جاهلا بالحرب شن حربا ومن لا جناح له طار كالعصفور الضعيف يتجاوز القوى والبدين يغلب (العداء)**[٣٧]**))**

غير ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) كان عارفا بتاريخ بلاده ومطلعا عليه وان الاوضاع فيها لم تكن كذلك في الماضي . ذلك عندما قارن بين حالة بابل في تلك العصور القديمة يوم كانت تحتل مركز الصدارة بين مدن العالم القديم ، وما الت اليه في زمانه من خراب ودمار على ايدي المحتلين فيقول في انشودته:-

((أسفي على بابل التي جعلتها شامخة مثل تاج النخلة لكن الريح ايبسها اسفي على بابل التي ملأتها بالبذور مثل كوز صنوبر لكنني لم أجن منها شيئا أسفي على بابل التي غرستها فصارت حديقة ناضرة لكنني لم اذق طعم تمرها أسفي على بابل التي علقتها في عنق أنو مثل ختم من حجر الميشو(Elmeshu) أسفي على بابل التي أمسكتها بيدي هاتين مثل الواح القدر التي سوف لن اسلمها لأحد))[٣٨]

ان رؤية (كبتي – ايلاني – مردوخ) للتأريخ جعلته على قناعة وفطنة ان الاحوال التي تمر بها بابل ومن خلالها العراق القديم ، لابد ان تزول آجلا ام عاجلا ، وتتغير الاحوال نحو الاحسن ، فقد ورد في انشودة ايرا (Erra):-

((ليعم البحر ضد البحر ، سوبارتو ضد سوبارتو، اشوري ضد اشوري سوتي ضد سوتي كوتي ضد كوتي لولوبي ضد لولوبي بلد ضد بلد بيت ضد بيت رجل ضد رجل واخ ضد اخ فليقاتل الجميع دون هوادة وبعد أذن لتنهض أكد وتصرعهم جميعا ، وتحكم على جميعهم))[٣٩]

كما ورد الامل ايضا بخلاص البلاد من محنتها في مكان اخر من الانشودة . مانصه:-

((عسى ان يتكاثر من جديد شعب البلاد المباد وعسى ان يسير على دروبها القصير والطويل وان يصرع الاكدي الضعيف السوتي القوي وان يسوق رجل واحد سبعة منهم مثل الغنم وعسى ان تحيل مدنهم الى خرائب وجبالهم الى فقر وان تعيد الهة البلاد الغاضبين الى مسكانهم بأمان وأن تأتي بغنائمهم الثقيلة الى شوأنا (بابل) وتنزل في البلاد من جديد الماشية والغلال وتجعل الجبال تجلب ثرواتها والبحر يجلب منتوجاته والمروج التي سمحت باجتياحها تجلب منتوجاتها وان تجعل كل واحد من حكام المدن يجلب جباية باهضة الى شوأنا والمعابد التي سمحت بتخريبها عسى ان ترتفع قممها عاليا مثل الشمس وعسى ان تأتي دجلة والفرات بمياه الفيض وأن تأتي كل واحد من حكام المدن بهبة الى خازن معبد أي-ساكيلا وبابل وعسى أن ينشد مديح الإله العظيم نركال والمحارب ايشوم لسنين لا))[٤٠].

ان سعة اطلاع (كبتي – ايلاني – مردوخ) على تاريخ بلاده جعله يقسمه الى ثلاث مراحل واضحة المعالم ، ففي المرحلة الاولى اتسمت البلاد بالاستقرار والسلام والمجتمع المتماسك والامن ، فهي فترة مثالية في تاريخ العراق القديم وشبهها بالعصر الذهبي اذ عاش الجميع بسعادة واطمئنان . ومن الجدير بالذكر ان فكرة (كبتي – ايلاني – مردوخ) الاخيرة وجد ما يماثلها في ملحمة سومرية تتعلق بالملك (انمركار) عاهل أوروك وحاكم ارتا[٤١]. وفي اسطورة سومرية اخرى يطلق عليها اسم اسطورة (انكي ننخرساك)، وهي تتحدث عن احوال دلمون (جزيرة البحرين حاليا) وخيراتها وانها بلد الطهر والصفاء ورغد العيش ، ارض لا مرض ولا موت ولا شر فيها .... في دلمون لا ينعق الغراب ولا يصيح طائر الموت والخراب ... ليس فيها ارملة ولا مرض ولا علة تصيب الرأس والعين وليس فيها شيخ ولا عجوز ولا ندب ولا رثاء وعزاء[٤٢].... مما يدل على اكثر احتمال ان (كبتي – ايلاني – مردوخ) كان على اطلاع بما هو مدون عن تاريخ بلاده واساطير ألهته وخاصة ما يتعلق بقصة (انمركار) ، واسطورة (انكي وننخرساك) . وفي المرحلة الثانية اهتزت عروش البلاد بأنهيارها السلام وإشاعة الفوضى والاضطراب حيث الاحتلال الأجنبي العيلامي ، وفي المرحلة الثالثة حيث الأمل بخلاص البلاد من محنتها بعودة النظام والامن والاستقرار كما كانت عليه في المرحلة الاولى حيث الحياة الهانئة والعيش الرغيد . وأخيرا فان (كبتي – ايلاني – مردوخ) قد ضمن خاتمة اسطورته اسمه واسم ابيه وهو من عائلة (دابيبي Dabibi) الذي ورد ذكرها لأول مرة في حدود (٧٦٥ق.م) والتي شاركت في ادارة شؤون المعبد في كل من بابل والوركاء . كما تضمنت الخاتمة عدة أسطر (أبيات) جاءت على لسان الاله ايرا نفسة أي بصيغة الشخص المتكلم يحث الناس من خلالها الاكثار من مديحه وتعظيم اسمه في حين أن المتعارف عليه في معظم ما وصلنا من تراتيل وأناشيد خاصة في مديح الآلهه ان تأتي مثل الدعوة على لسان المؤلف (ويختتم النص بحاشية فريدة يظهر فيها حرص القدماء على الامانة في عملية الاستنساخ وعلى

مطابقة النسخة مع الاصل بحيث يتم بإشراف الملك نفسه أحيانا كما هي الحال في نصنا موضوع البحث):-

((اللوح الخامس من سلسلة ايرا أنا آشور بانيبال (الملك العظيم) الملك الصنديد ملك العالم ملك آشور ابن اسرحدون ملك آشور ابن سنحاريب ملك آشور كتب ووثقت وطابقت هذا اللوح بصحبة عدد من العلماء ومن الواح الطين والواح الكتابة من الخشب وهي نسخ من آشور وسومر وأكد ووضعته في قصري لمطالعتي الملكية كل من يمحو اسمي المكتوب ويكتب اسمه عسى الإله نابو كاتب كل شيء أن يمحوا))[٤٣]

ومن جانب آخر لأسطورة ايرا (Erra) يمكن القول أنها قد نقلت لنا فكرة محدودة وهي (الغضب الإلهي) الذي احتل مكانة مهمة في معتقدات الإنسان في كل العصور وترك أثرا واضحا في كثير من الأساطير والتآليف الأدبية والدينية،فالإله ايرا الذي اقترن اسمه بالطاعون والأوبئة والموت يمثل مع الألهه السبعة (الأشرار) الذين كانوا يحرضونه على الغزو والقتل : صورة من الغضب الإلهي حيث يذكر النص:-

((اخرج الى المعركة ، ايها المحارب ايرا وأجعل سلاحك يقعقع أيها المحارب ايرا يجب أن نصارحك وان بدت كلماتنا قاسية عليك فنحن الذين نعرف مسالك الجبال نسينا تماما طرقها وقد نسج العنكبوت خيوطة على عدتنا الحربية واقواسنا المعهود تمردت واصبحت اقوى منا وسهامنا الماضية صارت قليلة الحد وتآكلت خناجرنا بفعل الصدأ لعدم استعمالها في القتل فاستمع اليهم ايرا وكانت الكلمات التي نطق بها ((السبعة)) لذيذة ، كالزيت الناعم))[٤٤]

وهناك في أدب العراق القديم شواهد عديدة على الغضب الإلهي ، منها أحداث الطوفان لغضب الإله انليل لأن الناس تكاثروا في الأرض وأصبحوا يزعجونه حتى أنهم حرموه من الراحة والنوم[٤٥]. وتفسر التآليف الأدبية السومرية سقوط سلالة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ق.م) والدمار الذي لحق بعاصمتها على أنه نتيجة لغضب الإله انليل أيضا فهو الذي أرسل جحافل العيلاميين ضد أور فأمضوا في قتل أهلها وفي نهبها وتخريبها[٤٦].

الهوامش

١) حول نص اسطورة الخليقةالبابلية . أنظر Speiser,E., creation Epic, in Ancient Near Eastern Texts (ANET) third edit, Chicago, 1969,P.72.؛لابات ، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين مختارات من النصوص البابلية ، ترجمة الأب البير أبونا وترجمة د. وليد الجادر، بغداد ،١٩٨٩، ص٣٢ وما بعدها.

٢) É-dubba: تعني حرفيا بيت الالواح انظر: حسين احمد سلمان ، التعليم في العراق القديم ، مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية ، العدد ٢ ، ١٩٩٧,

٣) حكم في سلالة اور الثالثة خمس ملوك هم اورنمو (٢١١٢-٢٠٩٥ق.م) شولكي (٢٠٩٤-٢٠٤٧ق.م) امار سين (٢٠٤٦-٢٠٣٨ق.م) شو – سين (٢٠٣٧-٢٠٢٩ق.م) وأبي سين (٢٠٢٨-٢٠٠٤ق.م) للتوسع انظر: طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١ ، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٨١-٣٩٦.

٤) صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية ، ترجمة يوسف داوود عبد القادر ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص,٣٧

5) Lambert,M., "Ancestors Authors and canonicity" Journal of cuneiform studies (JCS), vol.X1,new Haven,1975,PP.1-10.

٦) طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد، ١٩٧٦،ص٥٣-٥٩؛

Lambert,M., Babylonian wisedam literature, Oxford,1960 , P.863 ff.

٧) المصدر نفسه ، ص٥٣ .

٨) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

٩) عثر على لوحين مسماريين يحتويان أربع مؤلفات سومرية احدهما يحوي (٦٢)عنوانا والاخر يحوي (٦٨) عنوانا وهناك (٤٣) عنوانا مشتركا في اللوحين فيكون عدد العناوين المسجلة فيها (٨٧) عنوانا ، أنظر: طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص,٢٧

١٠) سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٧٤ .

١١) هناك صنفان من هؤلاء المنشدين الاول يدعى نار (Nar) ويقدم الأغاني والموسيقى الدينية في القصر وشمل هذا الصنف الرجال والنساء على السواء أما صنف الكالا (gala) فهو يمارس مهنته في المعبد وأثناء مراسيم الدفن فهو كاهن الإنشاد وعزف الموسيقى. انظر: رضا جواد الهاشمي ، النظام الكهنوتي في العراق القديم ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٤، ج١ ، ١٩٧٠-١٩٧١ ، ص,٢٧٢

١٢) فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص١٣٧ .

١٣) لمزيد من الاطلاع على هذه القصيدة التأريخية،انظر:المصدر نفسه ، ص١٣٧ – ,١٤٦

14) Chicago Assyrian Dictionary (CAD) Chicago, 1965 , P.2.

١٥) سامي سعيد الاحمد،العراق القديم ، ج٢ ، ص١٦٤.

١٦) لابات ، رينية ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، مختارات من النصوص البابلية،ترجمة البير ابونا و د.وليد الجادر ، ١٩٨٨، اللوح الرابع ، ص١٣٩–,١٤٠

١٧) أمكور إنليل : سور بابل ، المصدر نفسه ،ص١٣٩.

18) Dalley,s., Myths from Mesopotamia, Oxford , 1989 , P.287.

19)Ibid,P.287.

٢٠) يقصد باللبوة ، الالهه عشتار، كالإلهة حرب .

٢١) لابات، مصدر سابق ، ص١٤٢–,١٤٤

٢٢) فاضل عبد الواحد علي ، ""سلالة ايسن الثانية"" ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣، ص١٠٧–١٠٨,

٢٣) للإطلاع على مشاهد مسلة النصر . انظر: انطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ ، لوح ١٥٥،ص,١٩٩

٢٤) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٤١٣ .

٢٥) وليد الجادر ، سبار، احداث تاريخ المدينة ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٨٢ .

٢٦) اعتقد البابليون ان الإله ايشوم هو حامي الطريق الى عالم الاموات وشفيع ومخلصهم من جحيم العالم السفلي انظر: لابات ، مصدر سابق ، ص,١٢٦

٢٧) ان الالهة السبعة الذين أعطاهم الاله او جحيم الالهة ايرا هم الذين يلحون عليه بالحرب انظر: لابات ، مصدر نفسه ، ص,١٢٦

28) Dalley,s., OP.cit,287.

٢٩) فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٣٧–,١٤٦

٣٠) يعود تاريخ هذا النص الى عام (٦٤٨ق.م) ويبدو ان الملك اشور بانيبال قصد معبد الإلهه عشتار في اربيل ليسألها العون على خصمه (تيومان Teuman) ملك بلاد عيلام ، انظر: فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٥٠ وما بعدها.

٣١) انظر حول هذا الموضوع مايسمى لعنة أكد في : صموئيل نوح كريمر ، السومريون ، ترجمة ، د. فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص٤٦٤ – ٤٦٥.

٣٢) سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص,١٦٤

٣٣) المصدر نفسه .

٣٤) سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، ج١ ، ١٩٧٨ ، ص,٣٩٧

٣٥) لابات ، مصدر سابق ، اللوح الاول ، انظر١٣٦- ١٤٠، ص ١٣٠ .

36) Dalley,s., OP.cit,297.

٣٧) لابات، مصدر سابق ، ص١٤٢-,١٤٣

٣٨) المصدر نفسه ، اللوح الرابع انظر ٤٠-٤١ ، ص,١٤١

39) Dalley,s., OP.cit,310.

40) Ibib , P.310 .

٤١) للاطلاع على موضوع الصراع بين الوركاء وارتا انظر: Kramer,S,N., From the tablets of sumer U.S.A , 1956 , P.259 ff.

٤٢) للتوسع حول اسطورة (انكي ننخرساك) انظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص,٨٠٨

43) Dalley,s., OP.cit,312.

44) Ibib , P.387 .

45) Speiser,E,A., Akkadian myths and epics in (ANET) third edit, 1969, PP.104-108.

٤٦) فاضل عبد الواحد علي ، ""الأدباء السومريون واحداث في التاريخ"" ، افاق عربية ، العدد٧، ١٩٩٢ ، ص٧٧ .

المصادر العربية

١) انطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ ، لوح ١٥٥.

٢) رضا جواد الهاشمي ، النظام الكهنوتي في العراق القديم ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٤، ج١ ، ١٩٧٠-١٩٧١.

٣) سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٣.

٤) سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، ج١ ، ١٩٧٨.

٥) صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية ، ترجمة يوسف داود عبد القادر ، بغداد ، ١٩٧١.

٦) صموئيل نوح كريمر ، السومريون ، ترجمة ، د. فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣.

٧) طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد، ١٩٧٦.

٨) طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج١ ، بغداد، ١٩٨٦.

٩) فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ،١٩٩٧.
١٠) فاضل عبد الواحد علي ، ""سلالة ايسن الثانية"" ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣.
١١) فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد ، ١٩٨٦.
١٢) فاضل عبد الواحد علي ، الأدباء السومريون واحداث في التاريخ ، افاق عربية ، العدد٧، ١٩٩٢.
١٣) لابات ، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، مختارات من النصوص البابلية ترجمة الأب البير أبونا وترجمة د. وليد الجادر، بغداد ،١٩٨٩.
١٤) وليد الجادر ، سبار، احداث تاريخ المدينة ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٨.

المصادرالاجنبية

1) Chicago Assyrian Dictionary (CAD) Chicago, 1965.
2) Dalley,s., Myths from Mesopotamia, Oxford , 1989.
3) Lambert,M., Babylonian wisedam literature, Oxford,1960 .
4) Lambert,M., "Ancestors Authors and canonicity" Journal of cuneiform studies (JCS), vol.X1,new Haven,1975.
5) Kramer,S,N., From the tablets of Sumer U.S.A , 1956.
6) Speiser,E.,Creation Epic, in Ancient Near Eastern Texts (ANET) third edit, Chicago, 1969.
7) Speiser,E,A., Akkadian myths and epics in (ANET) third edit, 1969.